سيّاف البحر

سمك بحريٌّ له منقار طويل مشبّه به « السيف والسيف . وفي تاج العروس « السيف بالفتح وبكسر سكة كأنها سيفٌ » . وفي كتاب نخبة الدهر لشمس الدين الدمشقي صفحة ١٤٤ قال : «وسمكة أيضاً كصورة رجل محارب بيده سيف قصير وبالأخرى ترس مدور وعلى رأسه بيضة برفرف وذلك كله قطعة واحدة حيوان واحد جسم حيٌّ واحد السيف عضوٌ والترس عضو والخوذة عضوٌ سمّي سيّاف البحر . ثم علمت ان السيف في الاسكندرية نوع آخر من السمك يشبه السيف ولعلهُ الذي اراده صاحب التاج . . لذلك قد قدمت في هذه المادة اما سيف وسيّاف البحر على السّيف والسّيف» (معجم الحيوان ، للفريق أمين المعلوف)

وقد وصف سترابون الجغرافي هذا السمك قبل الميلاد بمئة بقوله « ان حجم السيف في سيّاف البحر ، وقوة السمك ، وطريقة صيده ، تجعل خطر صيده لا يقل عن الخطر الذي يحفّ بمطاردة الخنزير البري . وما فتىء مراد هذا السمك وصيده من عهد سترابون الى عهدنا هذا في مقدمة أعمال الصيد المحفوفة بالخطر العظيم وصيد سيّاف البحر يُعدُّ أعظم ما يستطيعهُ الصياد

***

يبدأ صياد البحر حياتهُ ببيضة صغيرة لا تزيد على رأس دبوس . وعندما تنقف البيضة يكون السمك شفافاً به سيفان صغيران يتدحجان بعد ذلك في سيفٍ واحدٍ عريض تدعى السمكة به . وسيّاف البحر ينمو نموّاً سريعاً فيغدو في خلال سنة بعد فقس البيضة سمكة طولها عشر أقدام ووزنها ٦٠٠ رطل وتستطيع أن تكافح الصياد كفاحاً عنيفاً . وهذا السمك كثير في المياه الدافئة والمعتدلة في بحار الأرض . وفي أحد البحوث الطبيعية أن سيّافاً أصيب بسيف السياف فنفذ منهُ . وكان ذلك في مياه برمودا على ساحل المكسيك الغربي

وقد يكون وزن السيّاف البالغ ألف رطل وطوله خمسة عشر قدماً من طرف السيف الى طرف الذيل وجسمهُ مشيق لا زوائد فيه . فرأس السمك يشبه السيف وطوله ثلث طوله ، والزعنفة الظهرية . وجسم الطويل القوي : جميعها صفات تشريحية تمكن هذا السمك من الحركة القوية السريعة في الماء

وتتمّ هذه الحركة في سيّاف البحر ذيله الكبير وزعنفتاه تشبه الهلال . وليس

في بحار الارض حيٌّ يجاري السيّاف في قوته وسرعته وحسن خطوطه . ثم أنهُ شجاع لا يخشى الموت ويحارب حرباً لاهوادة فيها وكثيراً ما يكون ميتاً أو مشفياً قبل أن يستسلم لصائده . وقد يبقى تحاربه ساعات أو تسعاً بعد أن ينشب الشصُّ فيه وهو يكافح كفاحاً قوياً وقد يجرُّ الزورق الذي فيه الصيّاد مسافة عشرين ميلاً في خلال ذلك . ولذلك يعد صيده من أشقّ الاعمال .

ومن طبائعه بعد ان ينشب الشصُّ فيه ان يرتفع عن الماء فلا يبقى الاّ ذيلهُ مغموراً به . وقد وصف الكاتب زين غراي Zane Gray ذلك بقوله : — « ارتفع ثلثاهُ من الماء ولعلَّ ذلك راجع الى قوة ذيله ولكن ارتفاعهُ بدا لي كأنهُ تمَّ بفعل ساحر . ومضى يشق الماء في زبد كثيف على هذا المنوال ، ذيلهُ في الماء وجسمهُ فوق الماء ، فكأنهُ كان يمشي على سطح البحر وهو يحرّك رأسهُ الكبير ، وسيف الرأس مشرع في الهواء وشدقاه مفتوحان وزعنفته الظهرية مزبرّة منتفشة كأنها عفرة الأسدة »

وقد يقفز فوق سطح الماء عشرين قدماً . قال الكاتب دون Donne : «وأحياناً يقفز من الماء قفزة غير عالية ولكن مداها ثلاثون او أربعون قدماً فيلمع جلده في ضوء الشمس كأنه سيف فضي مصقول » . وسيّاف البحر يقتات بصغار السمك فيقتحم ضحضاحَ الماء حيث يكثر السمك الصغير ويضربه بسيفه يميناً ويساراً حتى يميتهُ او يدوخهُ او تزيد وقد يرتفع من الماء ثم يهبط على ثول السمك فيشوّه بعضه او يدوخه ثم يقفز شدقيه ويلتهم

***

ومن الفعال التي تسند اليه هجومه على الزوارق وهي مصنوعة من الخشب على الغالب فيطعنها. وقد جاء في تقرير لمصلحة مصايد الاسماك في الولايات المتحدة ان ثمانية سيوف من سيوف هذا الحيوان وجدت في آخر فصل الصيد مخترقة خشب سفينة واحدة . ومن هذه السيوف ما كان كِسَراً صغيرة ومنها ما كان طوله قدماً . ومما يروى ان سيّاف بحر اخترق بسيفه قطعة من الخشب ثخانتها تسع بوصات. فلما سئل أحد الهندسين الميكانيكيين في ذلك قال ان دق مسمار في قطعة خشب من هذا القبيل يقتضي ضرب المسمار تسع ضربات بمطرقة وزنها خمسة وعشرون رطلا . واليك رواية أخرى وهي عن السفينة «ذي فورتشون ». فقد شعر رجالها في أحد الايام بهزة عنيفة تبيّنوا بعدها ان سيّاف البحر ضربها بسيفه فاخترق به لوحاً رقيقاً من النحاس ولوحاً آخر من الخشب الصلب ثخانته ثلاث بوصات . وسيف السيّاف مصنوع من مادة صلبة كالعاج والقوة التي يقرغها في ضربه قد تبلغ قوة مائتي حصان أحياناً اذا ما كانت سرعته نحو ستين ميلاً في الساعة